الاستكبار والطغيان أساسٌ تكوينيّ لنزعة الشرِّ في النفس البشريّة قراءةٌ معرفيّةٌ قرآنيّة

د. عمّار عبد الرزّاق علي الصغير

جامعة الإمام جعفر الصادق/النجف الاشرف

Ammaralsagheer1@gmail.com

ملخص البحث:

يأتي الحديث عن الاستكبار والطغيان بوصفهما أساسًا تكوينيًّا لكثيرٍ من الصفات النفسية القبيحة، التي تولدّ آثارًا تخريبيّة على واقع المجتمعات وبنيتها الأخلاقيّة؛ لذلك يمكن تصنيف موضوعَي الاستكبار والطغيان بأنّهما عاملا إنتاجٍ لبعض الأمراض الاجتماعية. وهذه هي النتيجة التي يخرج بها البحث. وفي هذا البحث سنأخذ نموذجًا تأريخيًّا من الذين تضخّمت لديهم حالات الكبر والطغيان فبلغت مراحلها القصوى في الاستكبار، وهو فرعون الطاغية الذي عاش في زمن نبي الله موسى (ع)، والذي عرض القرآن قصّته مرارًا؛ لأنّها تمثّل الأنموذج الأوضح للطغيان، فعرضها القرآن الكريم بشتّى صورها، وأشار إلى صفاتها وخصائصها وآثارها ونتائجها وعاقبتها في منهجٍ نصّيٍّ متكامل. وفي صور التأريخ وأطواء صفحاته برزت شخصياتٌ طغيانيّةٌ مستكبرةٌ على الخَلْق والخالق، كان منهم حكّام بني أميّة والعبّاس، وسيتناول البحث بعض الصور الطاغوتية منها.

وفي اهتمام القرآن بهذين الأمرين دافعٌ يحثّنا على بحثهما ومعرفة مكوناتهما وآثارهما، ولعلّ جريانهما مع طبيعة النوع الإنساني وانحرافه عن الاعتدال الأخلاقي سبباً في إثارة القرآن لهما، ليتجنب المتلقّين له عن مسبّباتهما، ويندرج هذا ضمن مشروع القرآن في تحقيق الهداية، والتحذير ممّا يؤثّر عليها.

الكلمات المفتاحية : الاستكبار، الطغيان، موسى، فرعون.

Arrogance and tyranny A formative basis for the evil tendency in the human soul Quranic cognitive reading

Dr. Ammar Abdul Razzaq Ali Al-Sagheer

Imam Jafar Al-Sadiq University

Abstract:

We talk about arrogance and tyranny as a formative basis for many ugly psychological traits, which in turn cause vice effects whose impact on the reality of societies is destructive to their balanced moral systems. Therefore, the issues of arrogance and tyranny can be classified as factors that produce some social diseases. In this research, we will take a historical example of those whose cases of arrogance and tyranny escalated, reaching its extreme stages of arrogance, which is the tyrant Pharaoh who lived in the time of the Prophet of God Moses (peace be upon him), and whose story was presented in the Qur'an repeatedly because it represents the clearest symbolism of tyranny, so the Holy Qur'an presented it in various forms. He pointed out its characteristics, characteristics, effects, results, and consequences in an integrated textual approach.

In the images and pages of history, tyrannical figures and events emerged that were arrogant towards creation and the Creator. Among them were the rulers of the Umayyads and the Abbas, from which the research will discuss some tyrannical images

Keywords: arrogance. Tyranny. Musa. pharaoh.

مدخلٌ معرفي

غير خفيّ بأنّ النزوع نحو التكامل فطرةٌ تكوينيّةٌ في الذات الإنسانية، وهو مظهرٌ للانسجام والاندماج مع مسيرة الكون التي تحكمها نظمٌ تكوينيّةٌ وتشريعيّة، تمثّل قاعدةً لتوازناتها واستقرارها، والخروج عن هذه النظم خروجٌ من الفطرة السليمة، وانتكاسٌ في مسيرة الإنسان التكامليّة. ويمثّل الاتصاف بالاستكبار أحد أبرز وجوه التمرّد على تلك النظم التشريعية، وموجبًا للوقوع في النموّ الوهمي لتضخم الذات، والوقوع في خُيَلاء يستحوذ على الإنسان حين يُحرم من الإيمان الواقعيّ والانقياد لمدبّر الكون ومنظمه ومسيّر شؤونه، فيرى نفسه ولا يرى غيره، أو يرى نفسه متمردةً منفلتةً من كلّ قيدٍ ولا تعبأ بأيّ ضابطة. ومثل هذا المرء مصروفٌ عن آيات الله؛ وذلك لأنّ التكبّر هو الترفّع عن الانقياد والطاعة، وذلك لا يستحقّه غير الله سبحانه وتعالى.

وللتكبّر والاستكبار والطغيان في مسيرة الإنسانية تاريخٌ طويل، ابتدأ خطّه على يد إبليس الطريد، وامتد بقيادته يجتذب إليه المشغوفين بأنفسهم، وتفرّدهم وذاتيتهم المتمرّدة على نظم الحياة السليمة، وعُمْي الوعي والإيمان، فغدو أداةً طيعة بيد الشيطان.

وقد رسم الله تعالى للطغاة المستكبرين عاقبةً سيّئةً تُعرض على منصّة التأريخ البشريّ؛ لتجنّبها والاتّعاظ بها، كما حصل مع تكبّر إبليس وتعصّبه الذي قضى على منزلته، وقد حذّر الإمام أمير المؤمنين(ع) من تلك الصفات السيّئة بقوله: «**واحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ، مِنَ الْمَثُلَاتِ بِسُوءِ الأَفْعَالِ وذَمِيمِ الأَعْمَالِ**»[1]. والقرآن الكريم لا يهدف إلى إعادة إنتاج حركة التأريخ والاكتفاء باستدعاء صوره؛ وإنّما يرشدنا إلى كيفيّة قراءة التأريخ، واستخلاص الحقائق منه، ومعرفة سنن التأريخ وأسبابها ومكوناتها ومآلاتها، والقوانين التي تحكم حركة التأريخ البشري بوصفها حركةً ممكنةً خضعت لسببيّات، مهمّتها خلق مستقبلٍ ممكنٍ تكون أفعال الإنسان وخياراته هي العنصر المؤثّر في إخراجه بعد أنْ عرف الانسان الصواب والخطأ من الشرائع السماوية حتى باتت أفعاله جزءًا من الفعل الكوني.

وإنّ القرآن الكريم حينما يضع مفاهيمه بقوالب تحمل طابعًا قانونيًّا مطردًا يسعى إلى أمرين:

الأول: دسترة معانيها في الوعي العام، في رسالةٍ بيّنةٍ بأنّ الكون محكومٌ بمنظومةٍ من القوانين الشمولية المطّردة، التي لا تعرف الاستثناء، فهي بمنزلة الحضور الإلهي في الكون.

الثاني: الانتقال بالعقل الإنساني من الرؤية الجزئية والتجزيئية للأحداث الى الرؤية المفاهيمية الكلية للكون؛ اذ تتحوّل السُنّة من الحكاية الزمنية الى الناظم التشريعي الثابت لحركة الفكر البشري الذي تنضوي تحته كثيرٌ من التشريعات الاجتماعية الجماعية والفردية التي تنظّم علاقة الفرد مع ربّه والآخر والجماعة.

إذن هو يرشد إلى تفحُّص المواقف التأريخيّة للأمم السابقة لتجنّب ما ارتكبته من جرائر بحقّ الإنسانيّة، آلت بها إلى سوء المصير والانهيار، وفي فرعون مثالٌ رمزيٌّ واضح؛ إذ كانت نهاية أفعاله الطغيانيّة

(1) نهج البلاغة. تح: صبحي الصالح: ٢٩٦.

الهلاك لأتباعه، وجعله شاهدًا على سوء سلوكه، ولتشهد عليه الناس بذلك، قال تعالى: (**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ)** [1]. وقال تعالى في سياق اتّخاذ مواقف من حركة التاريخ سننًا ثابتة: **(قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ)** [2].

وقد استعمل القران المَثَل والتمثيل بالأمم لما له من قدرةٍ مؤثّرةٍ في توضيح المعاني وتوصيل الأغراض، قال تعالى: **(وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا)** [3]. وقوله تعالى: **(وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)** [4] . وقوله تعالى: **(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)** [5].

والمَثَل القرآني ليس كالأمثال العربية الأدبية التي ترتكز على أسلوب صياغةٍ وصخب بيان، وإنّما هو يتحرى المؤثّرية في الهداية عبر تصوير الحقائق الواقعية بعيدًا عن الخيال والأسطرة، فهو نظير القصّة القرآنية التي أشارت الآية إلى أغراضها في النظم القرآنية (**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** [6]، وإنّما تحمل معاني وفوائد تتدخل في استقامة الحياة الإنسانية. فالمثل يحمل الجانب الرمزي في حركة التأريخ ليوحي إلى حقائق واقعية عابرة للزمن، وليس افتراضات وخيالات، أو حدثًا تاريخانيًّا مختصًّا بزمن تكوّنه.

ههنا يأتي الحديث عن فرعون تلك الشخصيّة الطاغوتية التي عاصرت نبيّ الله موسى ؏؛ لبيان الصورة التمثيليّة التي تقودنا إلى مُماثلاتها في الأحداث والوقائع عبر امتداداتها التأريخيّة، وقد خُوطب رسول الله 9 في قوله تعالى: **(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى)** [٧]. وفيه دلالةٌ وتنبيهٌ على أهمّيّة تلك القضيّة التي رافقت الطغاة في كلّ عصر، فكأنّ النصّ يبيّن للنبيّ محمّد9 أنّ الطغاة في كلّ عصر يحملون الأيديولوجيّة نفسها، والنسق الفكريّ ذاته، وأنّ في المقابل أنتم الأولياء الصالحون تحملون الدعوة الإلهيّة نفسها [٨].

([1]) يونس:٩٢.
([2]) آل عمران: ١٣.
([3]) الفرقان: ٣١.
([4]) النحل: ٩٢.
([5]) العنكبوت: ٤١.
([6]) يوسف:١١١.
([٧]) النازعات: ١٥.
([٨]) في السياق نفسه من الترغيب؛ لبيان أهمية هذه الظاهرة يشير السيد الطباطبائي بأنّ الاستفهام في النصّ الكريم "استفهام بداعي ترغيب السامع في استماع الحديث ليتسلّى به هو، ويكون للمنكرين إنذارًا بما فيه من ذكر العذاب، وإتمامًا للحجّة كما تقدّم. ولا ينافي هذا النوع من

وفي بيان قصص الماضين أهميةٌ للنظر والاعتبار، كما في قوله تعالى: (**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)** [١] . وهو بيانٌ لسنن المستكبرين وعواقبهم حتى يتحقّق الاعتبار والاتّعاظ من ذلك المنهج الطاغوتيّ، وتتحقّق خطوات العدالة الاجتماعيّة؛ إذ إنّ ترك الظاهرة الطاغوتيّة بلا مواجهة يَؤول إلى تهديم الروح الإنسانيّة في كلّ مجتمع؛ لأنّ "الفرعونيّة على مرّ التأريخ تبني العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان على أساس الظلم والاستغلال، الفرعونيّة تجزّئ المجتمع، تبعثر إمكانيّات المجتمع وطاقات المجتمع، ومن هنا تهدر ما في الإنسان من قدرة على الإبداع والنموّ الطبيعيّ على ساحة علاقات الإنسان مع الطبيعة"[٢].

مفهوم الاستكبار وأسباب تكوّنه

الدلالة المفهومية

الاستكبار في اللغة هو من التعظُّم [٣]، وهو استفعال من (كبِر) يشعر بالتكلّف والتصنع. وله وجهان في مجمل دلالاته اللغوية:

الأول: المحمود: مثل من يسعي ليكون شيئًا مذكورًا وعظيمًا في أعين الآخرين، وفي جميع أشكال ذلك وزمانه وأنواعه في حدود الأدب والشريعة فهو شيءٌ محمودٌ مطلوبٌ مرغوبٌ فيه.

والثاني: المذموم: كالذي يخيّل لنفسه العظمة والعلو والمقام الرفيع من دون عملٍ أو فعلٍ يؤهّله، وهو ما وقع به إبليس، وقد استنكره القرآن الكريم بقوله تعالى: **(أبى واسْتَكْبَر)** [البقرة: ٣٤] [٤].

ومادة (ك، ب، ر) يشتق منها ألفاظٌ متقاربةُ الدلالة، فيأتي منها الكِبْر والتَّكَبُّر والاسْتِكْبار؛ **والكِبر**: تتجلّى آثاره في الفعل الإنساني الذي يعظّم صاحبُه نفسَه على غيره ويشعرها بعلوّها عليه، بل يصل التكبّر ذروته بالامتناع عن طاعة الله والانقياد له [٥]. وذكر الراغب الأصفهاني بأنّ الكِبر هو الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أنْ يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره. فهو ما يتّصف به من ترفعٍ وتعالٍ واستصغارٍ للآخرين واحتقارهم [٦].

وأما الاستكبار فهو: "الامتناع عن قبول الحقّ معاندةً وتكبُّرًا"[٧]. والتعاند إنّما يصحّ مع ظهور البيّنة، وليس عن جهلٍ أو اشتباهٍ أو قصور الحجة والبرهان، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى:(**ثُمَّ**

الاستفهام تقدّم علم السامع بالحديث؛ لأنّ الغرض توجيه نظر السامع إلى الحديث دون السؤال والاستعلام حقيقة، فمن الممكن أنْ تكون الآيات أول ما يقصّه الله من قصة موسى أو تكون مسبوقةً بذكر قصته كما في سورة المُزَّمِّل إجمالًا". الميزان في تفسير القرآن: ١٨٨/٢٠.

(١) فاطر: ٤٤.

(٢) الصدر، محمد باقر. المدرسة القرآنية: ١٧٦.

(٣) ابن منظور. لسان العرب: مادة (ك ب ر). ج٥ ص١٢٥.

(٤) ظ: الزبيدي، تاج العروس: ٩/١٤.

(٥) م. ن: ٩/١٤.

(٦) الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن: ٥٤٥.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، (مادة كبر): ١٢٦/٥.

بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)[١]. والاستكبار حالةٌ فعليةٌ متناسلةٌ من الكِبر، وتمثّل إحدى آثاره.

وإذا تعاظم الاستكبار يتحوّل إلى (عُتُوٍّ)، وهو مجاوزة الحد في الامتناع عن قبول الحق، فالعاتي هو: " المتمرّد الذي لا يقبل موعظةً، ويأبى بعصيان" [٢]. وقد وصف النصّ القرآني الأقوام التي عصت الأنبياء – بالرغم من كثرة الأدلة والبراهين وموعظة الأنبياء لهم – بـ(العُتُوّ)، فقال تعالى: **(اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا)** [٣]. وفي قوم ثمود **(فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)** [٤].

وقد رافقت حركة الاستكبار تأريخ البشريّة بوصفها نقيضًا لحركة الأنبياء(ع) الداعية إلى الهداية، وإنّ أولى بوادر الاستكبار بدأت متمثّلة بالتمرُّد الذي أحدثه إبليس[٥]: **(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)** [٦]، وهنا وصف الإمام علي(ع) في خطبته القاصعة بأنّ الشيطان أسّس العصبيّة التي تقود إلى الاستكبار بسبب امتناعه عن قبول الحق مع بيّنته، وأنّ الله تعالى جازاه بذلك وبيّن عواقبه السيئة، وهي عبرةٌ لكلّ مثيل، وقد أوضح ذلك بقوله(ع): «فعدوّ الله إمام المتعصبّين وسلف المستكبرين الذي وضع أساس العصبيّة، ونازع الله رداء الجبريّة، وادَّرع لباس التعزّز، وخلع قناع التذلّل... ألا ترون كيف صغّره الله بتكبّره ووضعه بترفّعه» [٧].

وإنّ الكِبَر لوثةٌ عقليّةٌ، وعاهةٌ ذهنيّةٌ كلّما تعاظمت نقص من ميزان العقل شيء، ففي حديث الإمام علي **(ع)** حول الكبر إنّه قال: «ما دخل قلبَ امرئٍ شيءٌ من الكبر إلّا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك، قلَّ ذلك أو كَثُر» [٨].

وقال الإمام الصادق (ع): «ما مِنْ عبدٍ إلّا وفي رأسه حكمةٌ وملكٌ يمسكها، فإذا تكبّر قال له: اتّضع وضعك الله، فلا يزال أعظمَ الناسِ في نفسه، وأصغرَ الناسِ في أعين الناس» [9] .

وعلّة تكوّن الاستكبار هو توهّم الإنسان الكمال في نفسه، ممّا يبعث على العجب الممتزج بحبّ الذات، فيحجب كمال الآخرين، ويراهم أدنى منه، ويترفّع عليهم قلبيًا أو ظاهريًا [١٠]. والعجب هنا هو عبارة عن استعظام الذات باستعظام خصالها التي يراها الإنسان كماليّة، ولكن حقيقته كما عبّر الإمام الصادق (عليه السلام)، ترجع إلى نقصٍ ومرضٍ نفسي في ذات المتعجب: «ما مِنْ رجلٍ تكبَّر أو تجبَّر إلاّ لذلّةٍ يجدها في نفسه» [١١].

---

(١) يونس: ٧٥.
(٢) ابن منظور، لسان العرب: ٢٧/١٥.
(٣) الفرقان: ٢٢.
(٤) الذاريات: ٤٤.
(٥) وهو من الإبلاس بمعنى اليأس الشديد بسوء عمل، حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٦٤/٦.
(٦) البقرة: ٣٣ – ٣٤.
(٧) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.
(٨) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٦٨٦/٧٥.
(9) الكليني، الكافي٣١٢/٢، ح٦.
(١٠) ظ: الخمينيّ، روح الله، الأربعون حديثًا، ص ٨٨.
(١١)الحرّ العامليّ، محمّد، وسائل الشيعة: ١٥/ ٣٨٠.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

ولعلّ للهوى أثرًا كبيرًا في دوام فاعلية الاستكبار في النفس؛ لأنّ الهوى هو ميل النفس إلى الشهوات، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل: سُمّي بذلك لأنّه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كلّ داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية [١]. إذن الهوى سبيلٌ لتوهّم النفس بالكمال والإعجاب بذاتها.

وقد حذّرت منظومة أهل البيت (ع) الحديثية من تكوّن هذه الصفات الذميمة في النفس وتناميها تحاشيًا من تضخم مآلاتها، فقد جاء في حديث الإمام أمير المؤمنين (ع): «استعيذوا بالله من لواقح الكبر» [٢]، وقال (ع): «احذر الكِبرَ؛ فإنّه رأس الطغيان ومعصية الرحمن» [3]. ولعلّ أبرز تلك اللواقح التي تنمي تلك الظاهرة في النفس هي الثروة والجمال والقوة والنسب، التي يؤدي تجاوزها الحدّ إلى تكوّن الاستكبار وتنامي آثاره؛ لأنّها توهم النفس بالعلو والكمال والاستعظام. فيحذّر الحديث من سوء استعمالها، أو من استشعار الهيمنة والتمكّن والسيطرة بسببها.

وقد ورد عن الإمام الصادق (ع) بأنّ «أصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد» [٤]. وقد تكرّر ذلك في حديثه الشريف حينما سُئل عن أدنى الإلحاد، فقال: «الكِبَر أدناه» [٥].

وجاء في كلام أمير المؤمنين(ع) في ذم الكِبَرِ للمؤمنين بأنّ فلسفة الابتلاء للمؤمنين تخلق في نفوسهم الشعور بصغر حجم الدنيا، وفناء أيّ شأنٍ من شؤونها في أعين المؤمنين؛ حتى يُقبِلوا على الله تعالى، وذلك لا يعدّ سخطًا عليهم، فلا يُقاس الرضا الإلهيّ بمقدار منحه إيّاهم الرزق والراحة مثل الفرعون، ولا يُقاس السخط بمقدار منعه منهم؛ لأنّ ذلك يعود إلى الغاية التربويّة التي يريدها الله: «فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد – جهلًا بمواقع الفتنة – والاختبار في مواضع الغنى والاقتدار، وقد قال سبحانه وتعالى: **(أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ)** [سورة المؤمنون: ٥٥-٥٦]»[٦]. فلا يعدّ ذلك رضا لله عنهم؛ وإنّما هو استدراجٌ واختبارٌ قبل حلول البلاء والمحنة.

وكما يكون الاختبار بالمِحنَة للمؤمن، فقد يُبتلى المستكبرون بالأولياء الصالحين الذين ينكّدون عليهم راحتهم، فالأولياء الذين يستضعفهم المستكبرون، ويستصغرون قدراتهم، هم من يتصدّون لطغيانهم، ويزلزلون عروشهم. يقول الإمام علي (ع) في ذلك: «فإنّ الله سبحانه يختبر عبادَه المستكبرين في أنفسِهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم، ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون (عليهما السلام) على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي، فشرطا له إنْ أسلمَ بقاءَ مُلكِه ودوامَ عِزّه، فقال: ألا تعجبونَ من هذينِ؛ يشرطان لي دوامَ العزِّ وبقاءَ المُلك، وهما بما ترون من حال الفقر والذل؟!» [٧]، فقد كان فرعون ينظر إلى موسى بتلك النظرة المتعالية متجاوزًا الحقيقة التي بها ينجو، حتى هيمنت النظرة الماديّة والتّمايز على وعيه ليصوغَ قراره وفقًا لها، وتجعله يركّز على الزينة، وينسى طرق نجاته وبقاء ملكه في الوقت نفسه، إذ قدّم معيار الزينة على الحقيقة التي بها نجاته. وهو تفكير

(١)الراغب الأصفهاني، المفردات، ٧١٢.
(٢)المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ١٤/ ٤٦٨.
(3) الريشهري، ميزان الحكمة: ٣/٢١٥١.
(٤) الكليني، محمد، الكافي: ٢/٢٨٩.
(٥) م. ن: ج٢/ ٣٠٩.
(٦) نهج البلاغة. تحقيق: صبحي الصالح: ٢٩١
(٧) م. ن: ٢٩١.

يكشف عن خللٍ كبيرٍ في نظام الوعي الفرعونيّ الذي يعتقد بأنّ سعته المالية وزينته قادرةٌ على حفظ ملكه.

والمسألة الأخرى في هذا الحديث هو اعتقاد الفرعونيّة أنّ نظام التخاطب بين الطبقات السلطويّة مبتنٍ على تقارب القيمة الماديّة بين الطرفين، فلا بدّ أنْ يكون من يخاطبه لتغيير نظامه الاعتقاديّ من طبقته السلطويّة أو الماليّة؛ لهذا قام باحتقار موسى وهارون لزيّهما وبساطة ظاهر الحال، "فأمّا شرطهما له بقاء ملكه بإسلامه؛ فلما علمته من كون النواميس الشرعيّة والتمسّك بها والعمل بقوانينها ناظمًا لحال أبناء النوع الإنسانيّ، وسببًا لصلاح معاشهم ومعادهم. وبانتظام شمل مصلحتهم باستعمال تلك القوانين يكون بقاؤهم وثبات دولهم وملكهم ودوام عزّهم. فأمّا استكباره لشرطهما له دوام العزّ والملك بإسلامه وتعجّبه منهما في ذلك فمستنده اعتقاده الجهل أنّ مبدأ التمكّن من ذلك الشرط والقدرة على الوفاء به هو الغنى وجمع المال؛ فلذلك احتقرهما من حيث كانا بزيّ الفقر والذلّ ولبس الصوف، وليس عليهما آثار الغنى والمال، وهو التحلّي بأساورة الذهب. فكان إعظام الذهب ولبسه الَّذي هو شعار الغنيّ، واحتقار الصوف ولبسه ممّا هو شعار الفقر سببًا حاملًا له على ذلك الاستكبار والتعجّب"[١].

ومن شدّة استكبار فرعون أنّه كان يتنكّر لأيّ دعوةٍ للعبادة **(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى)**[٢] وكان الحَرِيّ بالمقام أنْ يقول: فمَنْ ربّي الذي تدعيانه ربًّا لي؟ أو ما يقرب من ذلك؛ يلوح إلى أنّه يتغافل عن كونه سبحانه ربًّا له كأنّه لم يسمع قولهما **(ربّك)**، ويسأل عن ربّهما الذي هما رسولان من عنده فقول فرعون: **(فمَنْ ربّكما)** ليس إنكارًا لوجود خالق الكلّ، ولا إنكار أنْ يكون له إلهٌ كما يظهر من قوله**(ويذرك وآلهتك)**[٣]، وإنّما هو طلب منه للمعرفة بحال من اتّخذاه إلهًا وربًّا من هو غيره؟ وهذا معنى ما تقدّم أنّ فرعون يتغافل في قوله هذا عن دعوتهما إلى الله سبحانه، وهما في أول الدعوة فهو يقدر ولو كتقدير المتجاهل أنّ موسى وأخاه يدعوانه إلى بعض الآلهة التي يتّخذ فيما بينهم ربًّا من دون الله فيسأل عنه [٤]، وهذا العناد والاعتداد بالرأي ناتجٌ من استصغار الآخرين وتحقيرهم، حتى ليصوّر نفسه بالأعلم المتقدّم في شتى المجالات.

ذلك ما جعل الفرعونيّة تتصرف بعمى البصيرة، فترى كلّ ما يصدر منها وما تفكّر فيه هو الصواب، فقد جاء في النصّ القرآنيّ الكريم **(وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى)**[٥]. وذكر بعض المفسّرين أنّ معنى **(وما هدى)** إشارةٌ إلى عدم الهداية بعد وضوح الضلالة، ما يدلّ أنّ بصيرته تحوّلت إلى طاقةٍ هائلةٍ من الطغيان جعلته يرى الحقّ ولا يهتدي به، ولا يهدي إليه قومه – وهو ما تقدّم من معنى العتو – فإنّ " القائد قد يخطئ أحيانًا، ويجرّ أتباعه إلى طريقٍ منحرف، إلا أنّه بمجرد أنْ ينتبه إلى خطئه يعيدهم إلى طريق الصواب. إلا أنّ فرعون كان عنيدًا إلى الحد الذي لم يبيّنْ لقومه الحقيقة حتى بعد وضوح الضلال ومشاهدته، واستمر في توجيه هؤلاء إلى المتاهات حتى هلك وإيّاهم"[٦]. وعلى هذا

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة:٢٧٣/٤

(٢) طه: ٤٩.

(٣) الأعراف: ١٢٧.

(٤) الطباطبائيّ، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ١٦٤/١٤.

(٥) طه: ٧٩.

(٦) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٥/١٠

الوضوح من الصورة فإنّ قول فرعون **(مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)**[١]، ويكون كذبةً كبرى أضلّ بها قومه؛ لأنّهم كانوا يرونه الهادي لهم.

وهذا المستوى من الاستكبار الذي يتجاوز العتو هو ما يسمّى بالاستبداد، وهو: التفرّد بالرأي وعدم مشاركة الآخرين [٢]، فيقصي الآخر ويستأثر بما عنده، حتى لكأنّه يختصر العالم بما يرى **(قالَ فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)**[٣]، فقد صادر حقّ الآخرين بالرأي والفكر والعمل، وحرمهم من حقوقهم؛ ذلك لفقد الجماهير القدرة على التحرّر والاستقلال؛ لتتعاظم هيمنة سطوته ويتفرّد وصولًا إلى مرحلة الربوبيّة.

والاستبداد تفرّدٌ مفرطٌ خلاف الرؤية الدينية التي ترفض اختزال وجود الأفراد في الفرد، وجعله ميزانًا لهم؛ لأنّها ترى الفرد مندرجًا في الكلّ الاجتماعي، ولتفاعله فكريًّا مع أفكار أخرى تنشئ الظواهر الاجتماعية، وتتولد عقولٌ جمعيةٌ جديدةٌ تختلف عن عقل الفرد [٤].

والاستبداد نزعةٌ نفسيةٌ تعكس الرغبة بالتسلّط والهيمنة؛ ولأنّ العقلية الطاغوتية لا تتمكّن من الوصول بالطرق السليمة للسلطة؛ لهذا تميل إلى سلوك القوّة والفرض. وقد بيّن القرآن الكريم سلوك فرعون حينما أعيته الإجابة في محاججة النبي موسى (ع)، وخلا من الحجّة والبرهان فلجأ إلى القوة **(قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)** [٥].

وإنّ فرعون حين لم يجدْ سبيلًا لمواجهة بيّنات موسى(ع) وحججه، وكان حذرًا من ميل الناس إليه وتصديقهم به، لجأ إلى توليد الغموض والتضليل على عقول العامة؛ لكيلا يُفتضح أمره، وليضعهم أمام المواجهة ويخرج بصفة الحريص عليهم وعلى عقائدهم ومستقبلهم، فقال: **(قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ)**[٦].

وقد شاع هذا الادّعاء في الحركات المناهضة لدعاوى الأنبياء(ع)؛ إذ استشعرت أنّ تلك الدعوى تستهدف وجودها، وهو غير بعيدٍ، فحركات الأنبياء إنّما قامت للقضاء على الظلم والفساد والجور ونحوها من خصائص منهج الحكم عند الطغاة؛ فإنّ تحرّك الأنبياء(ع) لم يكن بدافعٍ شخصيّ أو فئويّ؛ إنّما هي لإعادة التوازن في بنية المجتمع، واسترداد الحقوق ورفع الظلم عن المضطهدين؛ لذلك تسعى الأجهزة الحاكمة الجائرة لتقويض الثورة وتحطيم أسس حركتها، سواء باستهداف المصلح الداعي أم أتباعه قبل انتشار صوت الحق[7].

(١) غافر: ٢٩.
(٢) لسان العرب، مادة: بدد: ٨١/٣، والمصباح المنير، مادة: بدد:٣٨/١، ومختار الصحاح، مادة: بدد: ١٨.
(٣) المؤمن: ٢٩.
(٤) ظ: د. حسين عبد الحميد رشوان، ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي: ٣٣.
(٥) الشعراء: ٢٨- ٢٩.
(٦) الشعراء: ٣٤-٣٥.
(7) لا سيّما أنّ "كثيرًا من الثورات الحقيقيّة تعتمد في البداية – ولأسباب مختلفة – على فردٍ أو أفراد معيّنين، بحيث إنّهم إذا فُقدوا وغابوا عن الساحة سيعودُ الخطر ويهدّد الثورة من جديد؛ ولذلك يجب السعي من أجل خلق الموازين الثقافيّة الثوريّة في عمق المجتمع بأسرع ما يمكن، وكذلك تربية الناس بشكل لا تهزّهم العواصف المضادّة للثورة، بل يقفون كالجبل الأصمّ أمام كلّ حركة رجعيّة متخلّفة. وبتعبير آخر، فإنّ واحدة

وفي تأريخ الحكم الإسلامي امتاز معاوية بمنهجٍ استكباريّ ماكر، كما في تحريضه على الصحابي التقيّ أبي ذرّ الغفاريّ (رضوان الله عليه)، وجعل خليفة المسلمين عثمان بن عفان في واجهة المسؤولية، بعد أنْ تعالت حجج أبي ذرّ واعتراضاته على فساد فرعونيّة قريش (معاوية)، ومناهضة سياسته.

وخشيةً من ميول العامة إلى صوته والتصديق به، فقد كتب معاوية للخليفة عثمان كما يروي ابن سعد في الطبقات: "إنّ أبا ذرّ قد أفسد عليك الشام، وإنّي أكره أن يكون مثله في الشام أو بمصر أو بالعراق، فكتب عثمان إلى معاوية: أحملْ جندبًا على أغلظ مركب وأَوْعِرْهُ، فوجّه معاوية من سار به الليل والنهار، ولم يكَدْ يصل إلى المدينة حتى تسلّخت أفخاذه وكاد يهلك، ولمّا قابل عثمان وذكر له ما يفعله معاوية، أمر بتسييره إلى الربذة، فلم يزلْ بها حتى مات سنة ٣١ – ٣٢ رضي الله عنه وأرضاه"[١].

يفسّر هذا الموقف طبيعة طغيان بعض المتسلطين من قريش واستهتارهم بمكانة الصحابة الأجلّاء في إقصاء الخصوم من دون الاستماع إلى حججهم أو طلب البيّنة، فقد أصدرت السلطة – التي كانت تحت وسوسة مروان بن الحكم – قرارًا جائرًا خلافًا للنظم الإسلاميّة؛ إذ إنّ حكم النفي صدر ولم يعلم به أبو ذر؛ لأنّ الإجابة لكتاب معاوية بنفيه وإجلائه من الشام كان وهو ما زال في الشام، أيْ تم إصدار الحكم من دون بيّنة، وحتى سبب الحكم لم يكن ناشئًا عن مخالفة لنظم إسلاميّة أو شريعة؛ إنّما كان قرارًا شخصيًّا لتصفية خصم فضح حقائقهم.

وفكر الاستبداد وقهر العامة بأيّ شكلٍ من أشكال الظلم يُلاحظ على كثيرٍ من حواشي الحكام الذي استأثروا بخيرات بلدانهم بحجّة سلطانهم وولايتهم، ونتلمّس هذه الرمزيّة في طبيعة سلطة المحيطين بعثمان الخليفة الثالث للمسلمين بعد رسول الله – كما يروي اليعقوبي والبلاذري– ، الذين استأثروا بأموال المسلمين وجعلوها ملكًا لآلهم، فقد أرجعوا الحكم بن العاص بعد نفي رسول الله (ص) له إلى خارج مكّة والمدينة، وبقي منفيًّا حتى في عهد الخليفة الأول والثاني، وتمت توليته على صدقات قضاعة وهي بحدود ثلاثمائة ألف ووهبها له مجانًا [٢]، كما وُهِب أبو سفيان مائتي ألف من بيت المال بلا مسوّغ[٣]، وكذلك تسليط الفاسق الوليد بن عقبة – وهو أخو الخليفة عثمان من أمّه– على بيت مال الكوفة، إذ انتهب الوليد مبلغًا من عبد الله بن مسعود خازن بيت المال حينها، تحت عنوان القرض، فطالبه ابن مسعود بسداده غير أنّ الوليد رفض، وأبلغ السلطة بوقتها، فكان الجواب مرسلًا إلى ابن

من وظائف القادة المخلصين أنْ ينقلوا الموازين والمعايير منهم إلى المجتمع، ولا شكّ أنّ هذا الأمر المهم يحتاج إلى مضيّ زمان، إلّا أنّه يجب السعي لاختصار هذا الزمن إلى أقلّ ما يمكن". الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٦٠/١٠.

ذلك ما نلاحظه في حركات الأنبياء(ع) إذ عمد موسى بشكلٍ واضحٍ إلى جعل هارون وزيرًا له ليقوم بأعمال الدعوة بعده، ويشكّل ضمانةً من فراغ القيادة، كذلك فعل رسول الله (ص) حينما نصّ على خلافة أمير المؤمنين علي(ع) مرارًا، وجعله وزيرًا له من أول أيام الدعوة، وسلّمه المناصب العليا، في إشارة واضحة لصلاحيّة خلافته بعد النبي (ص)، بل مارس الإمام علي (ع) تلك الخلافة بكافّة صلاحيّاتها من قبل النبي (ص) حينما أرسله إلى اليمن وفي تبليغ سورة التوبة، وفي استخلافه في المدينة أثناء غزوة تبوك، ومع ذلك كلّه وإنْ لم يتسلّم الإمام الخلافة الرسميّة بقي بعد رسول الله (ص) يمارس صلاحيات واسعة في توجيه الناس، وبيان الأحكام ورشد السلطة؛ لخلق أعلى طاقة من التوازن حتى لا يقف مصير الإسلام على منعرج لا رجعة منه.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢٢٧/٤. ومحمود أبو رية، أبو هريرة شيخ المضيرة: ١٩٣.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي:٥٨/٢

(٣) ظ: البلاذري، أنساب الأشراف: ١٦٦/٦

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

مسعود "إنّما أنت خازن لنا، فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال"[١].

وللمبحث في نهايته أنْ يبين أنّ من نتائج الاستكبار هو الإفساد في المجتمع، والإفساد في اللغة يناقض الصلاح والمصلحة [١]، فالنفس التي تعمل خلاف المصلحة والصلاح تعاني من عدم انتظام في ذهنها وتصوّراتها ومنهجها، وتعاني من مشكلة التعايش مع السلام والتقدّم، وبهذا يشكّل وجودها تقاطعًا مع سير البشريّة السليم، وتقاطعًا مع الفطرة السليمة وانتظام القوانين التي وضعها الله تعالى لشؤون العباد، حتى تظهر هذه النفس غير المنتظمة بين المجتمع شاذّةً متمرّدةً.

ويتجذّر الفساد كلّما ظلّ من دون محاسبة واعتراض، لا سيّما إذا كان المفسد هو السلطة العليا لإدارة الدولة، وقد وصف فرعون بالإفساد والمفسد في مواضع عديدة؛ منها:

قوله تعالى: **(وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ)**[٢]. وقوله تعالى: **(إِنّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)**[٣]. وقوله تعالى: **(فَلّما أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ)**[٤]. وقوله تعالى: **(فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ۞ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)**[٥]. وقوله تعالى: **(حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)**[٦].

مفهوم الطغيان وأسباب تكوّنه

الدلالة المفهومية: فقد عرّفه اللغويّون بأنّه "مجاوزة الحدّ، وكلّ شيء جاوز المقدار والحدّ في العصيان فهو طاغ"[٧]. وطغى السيل: إذا جاء بماء كثير [٨].

وينشأ الطغيان من أسبابٍ ثلاثة:

- عدم الرغبة في الحقّ، أو القدرة على اختيار طريقه.
- الاستغناء بالمال والجاه، ووسائل القوّة بنحوٍ يرى فيه أنّ الناس جميعًا في حاجته ويطلبون عطفه، وهم في نظره معدمون لا قيمة لهم ولا وزن.
- مساندة القواعد النفعية للطاغية.

وأبرز ما يمثّل الطغاة هو ادّعاؤهم الربوبيّة كما سيأتي، إذ يمثّل أعلى مجاوزة لحدود الإنسان.

(١) البلاذري. أنساب الأشراف: ١٣/٦-١٤
(٢) الزخرف:٥١.
(٣) الزخرف:٥١.
(٤) الزخرف:٥١.
(٥) الزخرف:٥١.
(٦) الزخرف:٥١.
(٧) الفيوميّ، أحمد بن محمد بن علي المقريّ، (ت:٧٧٠ هـ). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيّ، مادة، طغا: ٣٧٤/٢.
(٨) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٤١٢/٣.

وفي سياق الكلام عن الطغيان بيَّن القرآن الكريم بأنَّ الطغيان ينمو في النفس ويتضخم وصولًا إلى إيهام الطاغية بأنّه من الآلهة، وأنّ أتباعه يعبدونه لاستحقاقه العبادة، قال تعالى على لسان فرعون: **(لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)** [1]، وهو تهديدٌ لموسى (ع) وردٌّ على قوله: **(قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ)**[2]. الذي ولَّد حالةً من الذعر عند فرعون الذي يتصوّر أنّه الإله الأوحد.

وتأتي شدة الطغيان من تصوّر الطاغية أنّ ما تحته من شؤون هي ملك له، فالأموال والأنفس والأرض تابعةٌ له، فهو متسلّطٌ عليها، ويتصرّف بها كيفما يحلو له، قال تعالى: **(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)** [3].

هذا المنطق الكاذب نشأ من تراكم أوهام النفس عند الطاغية بأنّه الشخص المقتدر الذي يمنح الحياة والموت والرزق، فأسهم هذا الشعور بتفاقم الشعور الطغيانيّ في نفسه حتى أعمى بصيرته، ما يوضح أنّ الطغيان يبدأ بمراحل أوّليّة إلى أنْ يصل إلى ذروته العليا، التي مثّل فرعون الفرد الأجلى لها.

وتتّصف النفس الطغيانيّة بإفراط محبّتها لنفسها دون غيرها؛ فتُقصي أيّ إخاء ومساواة للآخر، وكلّما ارتفعت نسبة الطغيان كان الآخر بنظرها أقلّ شأنًا، إلى أنْ تصل إلى كراهيّة الآخرين واستعبادهم.

هكذا تعاملت الفرعونية الطاغوتية مع موسى(ع)، حتى أنّها لا تحتمل رؤيته معظّمًا بين قومه؛ لأنّ "مشاهدتهم لذلك، أو علمهم به زائدٌ في عقابهم، ومُقوٍّ لعذابهم ومضاعف لإيلامهم، وهذا ممّا لا يخفى صحته واطّراده على متأمّل"[4]. تلك النزعة الأنانيّة لم تأتِ بنحوٍ لحظيّ؛ إنّما تدرّج فيها من صفة الاستكبار والتعالي وصولًا إلى كراهيّة الآخر وتصفيتهم.

وقد يلتمس أثر شدّة الطغيان من كيفيّة كتمان مؤمن آل فرعون لإيمانه لمائة عام تجنّبًا لبطش فرعون مع قربه النسبيّ منه، ويفسّر هذا الكتمان ضرورة التقيّة التي يمارسها، وحتى عندما جاء اجتماع مَلأ فرعون أبدى موقفًا متوازنًا، فلم يعلن أو يظهر إيمانه، الأمر الذي يفسّر طبيعة الحذر والخشية من إظهار ما تستكره السلطة فتمارس استكبارها عليه، قال تعالى: **(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ)**[5]. ثم استدرجهم لمغالطة أنفسهم في ضرورة الإصغاء إليه؛ مستعملًا طريقة الحصر الذهنيّ في عواقب ذلك، بترديد إمّا أنْ يكون موسى صادقًا وإمّا كاذبًا، فإنْ كان صادقًا فالصدق ينفعنا، وإنْ كان كاذبًا فعليه كذبه: **(أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)** [6]. ويرى السيد الطباطبائي أنّ في قوله ذلك "نزل في المخاصمة بالاكتفاء على أيسر التقادير، وأقلها كأنّه يقول: وإنْ يك صادقًا يصبكم ما وعدكم من أنواع العذاب، ولا أقل من إصابة بعض ما يعدكم، مع أنّ لازم صدقه إصابة جميع ما وعد"[7]. وتلك الممارسة الاحتجاجيّة تمثّل إيهامًا لوعي الحضور، لأجل ثنيهم

(1) الشعراء: ٢٩.
(2) الزخرف:٥١.
(3) الزخرف:٥١.
(4) الشريف المرتضى علم الهدى، الرسائل: ١٣٨/٣ – ١٣٩.
(5) غافر: ٢٨.
(6) غافر:٢٨.
(7) الميزان في تفسير القرآن: ٣٢٩/١٧.

عن قرار قتل موسى الذي كان فرعون وهامان يرغبان به.

وغير بعيدٍ أنْ يكون هذا الدور الذي أدّاه مؤمن آل فرعون، وحالة الحياد التي ظهر بها كان مقصودًا لإيقاظ الحق عند من حضر مجلس فرعون حتى يشكل حائلًا دون قتل النبي (ع).

وهكذا هي صفات الاستبداد والاستكبار والعلوّ والإقصاء قبل أنْ يواجهها نبيّ الله موسى(ع)؛ لكنّ المواجهة حولتها إلى صفاتٍ أكثر إجرامًا وبطشًا ليصل الطغيان إلى أنْ يقتل فرعون زوجته؛ لأنّها آمنت برسالة موسى، ودعت الله بالخلاص من منهج فرعون ودينه **(وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ)**[1]، فقد مثّل بها بأبشع الصور لكي تكون رسالةً بأنّ هذا عقابه لأقرب الناس إليه فكيف بالأبعد؟ "قيل كان أمر بأنْ يُلقى عليها صخرة عظيمة، فدعت الله وانتزع الله روحها، فأُلقِيت الصخرة على جسدٍ لا روح فيه، فلم تجد ألمًا من عذاب فرعون، وقيل إنّها كانت تُربَط وتُستقبَل بالشمس، وإذا انصرفوا عنها أطلقتها الملائكة، وجعلت ترى بيتها في الجنة" [2]. ويُلاحظ الاستكبار عن قبول الحقّ بالرغم من وضوحه والأساليب المستعملة للتدليل عليه.

ولم يكتفِ فرعون بذلك، وإنّما استمرت صفة الطغيان لتطال علماء سلطانه في حجّة مكافحة كلّ وجودٍ يهدّد سلطانه، ويتفرّد برأيه أو عقيدته؛ ومن هذا المنطلق "قرّر تحطيم قوة بني إسرائيل تحطيمًا كاملًا، وذلك بالقضاء على المقاتلين ورجال الحرب بقتل أبناء بني إسرائيل واستئصالهم، ويستبقي نساءهم وبناتهم لاسترقاقهنّ واستخدامهنّ، وهذا هو نهج كلّ مستعمر قديم وجديد، فهو يقضي على الرجال العالمين والقوى المؤثّرة في المواجهة، أو يقتل فيهم روح الرجولة والشهامة والغيرة والحميّة بالوسائل المختلفة، ويستبقي غير المؤثّرين في هذا المجال"[3].

وكبيانٍ تقريبيّ لنوع الفعل الإجرامي فقد عبّر القرآن عن أنواع الاسترقاق والاستعباد والقهر بـ(السَّوْم)، هو اسمٌ للعذاب الجامع للآفات، فقال: **(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ)** [4]، وعبَّر عنه بصيغ المضارعة دلالة على استمرار العذاب على بني إسرائيل الذين كانوا دومًا تحت التعذيب من قبل الفراعنة [5].

ويرتقي الطغيان الفرعونيّ إلى مستوى أبعد من القتل والاستحياء إلى تصوير قدرته وهيمنته أنّها الوسيلة للتسلّط، وإمضاء ما يريد، ولو كانت في سلب حقوق الرعيّة، فقال(**وإنّا فوقهم قاهرون**)[6] وهذا التظاهر بالهيمنة على الرعيّة والتمتّع بظلمهم يصوّر مدى الطغيان الذي تتمتّع به الروح الفرعونيّة لاستضعاف البشر.

وتأتي صورة مؤازرة لذلك التبجّح بالإجرام تتمثّل في تصويره نوعيّة قتل السحرة الذين آمنوا بموسى، فقد

(1) غافر :٢٨.
(2) المحقق الأردبيلي، زبدة البيان في أحكام القرآن: ٥٧٦.
(3) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ١٦٦/٥
(4) الشيرازي، ناصر مكارم. تفسير الأمثل: ١٦٦/٥
(5) ظ: الطوسي محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ٢٢٢/١-٢٢٣. والشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٢٠/١. وفي ذبح الأبناء على يد فرعون، فقد ذكروا أنّ ذلك كان بسبب تنبؤ المنجمين بولادة مولود لبني إسرائيل سيكون زوال ملك فرعون على يده، فأحدث فيهم القتل، وجرت تلك سنة لسنين عديدة "أنّ فرعون رأى في منامه نارًا أقبلت من بيت المقدس، حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، وأخرجت مصر فدعا السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن رؤياه فقالوا: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه – يعنون بيت المقدس – رجل يكون على يده هلاك مصر فأمر بني إسرائيل ألّا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ولا جاريه الا تركت". الطوسي، التبيان: ٢٧٧/١.
(6) الأعراف: ١٢٧.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

"كان مرادهُ أنْ يقتلهم بالتعذيب والتنكيل، ويجعل من هذا المشهد الرهيب درسًا للآخرين؛ لأنّ قطع الأيدي والأرجل، ثم الصلب على الشجر أمام الناس، ومنظر تدفّق الدم من أجسامهم وما يرافق هذا من حالات النزع فوق المشانق إلى أنْ يموتوا، سيكون عبرة لمن يعتبر... ولعلّ قطع اليد والرجل من خلاف، كان لأجل أنّ هذا العمل يتسبّب في أنْ يموتوا بصورة أبطأ، ويتحمّلوا قدرًا أكثر من الألم والعذاب "[١]، وقد صنّف هذا الموقف السحرة في صفحات الشهداء الأبرار؛ فقد وصفهم المفسّر الطبرسيّ بأنّهم: "كانوا أول النهار كفارًا سحرة، وآخر النهار شهداء بررة:"[٢].

هذا التعاند والغرور آفتان نفسيّتان يُصاب بها الطغاة، فلا يقبلوا الحقّ بإرادتهم وطوعهم إلّا أنْ يصيبهم العذاب أو يرون نزول علاماته، وقد حدّثنا القرآن عن تلك السُنّة بقوله تعالى: **(وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ)**[٣]. وقوله تعالى: **(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)**[٤]. وقوله تعالى: **(وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ)**[٥]. وما يفسّر هذا التعاند هو حالة الاغترار بالسلطة والمُكنة التي هم عليها، فلا ينفعهم رشد، ولا كلام وحي، ولا دعوة نبيّ، ولا عاقبة تأريخيّة.

هكذا يتولّد الطغيان ويشتدّ أكثر، وما أنْ ينزل العذاب يتظاهر الطغاة بالإيمان؛ لكنْ مع نزول العذاب فإنّ أبواب التوبة تؤصد عليهم فلا يرون رحمة الله، وهو ما حدث مع فرعون إذ إنّه حينما أُغرِق في اليمّ قال حينها – وبعد أن استنفد وسائل قوّته –: آمنتُ بربّ موسى، فخاطبه القرآن بالرفض وبيّن حقيقة إيمانه، وأنّه ما نجّاه إلّا ليكون عبرة لغيره، وليس لسبب إيمانه الظاهريّ، فقال تعالى: **(حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً)** [٦]، "وقد وصف الله بالذي آمنت به بنو إسرائيل ليظفر بما ظفروا به بإيمانهم، وهو مجاوزة البحر والأمان من الغرق، ولذلك أيضًا جمع بين الإيمان والإسلام ليزيل بذلك أثر ما كان يصرّ عليه من المعصية، وهو الشرك بالله والاستكبار على الله، والباقي ظاهر"[٧]، وأمّا قوله تعالى:**(وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ)**[٨]. فيمثّل حالة ترقٍّ من الظنّ إلى العناد والتكذيب، وهي ناشئة من تضخّم في صفة الاستكبار، " فقد زيّن الشيطان له قبيح عمله فرآه حسنًا، وصدّه عن سبيل الرشاد فرأى انصداده عنها ركوبًا عليها؛ فجادل في آيات الله بالباطل، وأتى بمثل هذه الأعمال القبيحة

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٦١/٥.
(٢) الطبرسي، مجمع البيان: ٤٦٤/٤.
(٣) الأنعام: ٤.
(٤) البقرة: ٥٩.
(٥) الأعراف: ١٣٤-١٣٥.
(٦) يونس: ٩٠-٩٢.
(٧) الطباطبائيّ، الميزان: ١١٨/١٠.
(٨) غافر: ٣٧.

والمكائد السفهية لادحاض الحق"[١].

إنّ المستكبرين كلّما شعروا بتضييق دائرة الحقّ عليهم ازدادوا عتوًّا وعنادًا؛ فإنّ "صدود الكافرين عن الدعوة وعدم انخراطهم فيها لم يكن نتيجة سببٍ موضوعيّ مرتبطٍ بالدعوة نفسها أو شخصية النبيّ، وإنّما يكون بسبب الظروف النفسيّة والاجتماعيّة التي يعيشها الكافرون أنفسهم، حيث تتحوّل المواقف السلبيّة اليوميّة من خلال الصراع، أو العادات والتقاليد الموروثة، أو الانحرافات الجزئيّة، إلى حالة نفسيّة تغلف القلب والعقل وتختم عليه، فيصبح الجحود هو الموقف العامّ دون أنْ يستخدم الإنسان عقله أو فطرته. وبذلك يكون إيضاح هذا القانون الاجتماعيّ له تأثير كبير على فهم المواجهة بين المسلمين والكافرين أيّام النبيّ محمّدٍ (ص)، وما بعدها. كما أنّ الإشارة إلى تفاصيل الآيات بشكلٍ خاصّ في عصر موسى وغيره يبيّن بوضوح المبرّر لعدم مجيء الآيات في عهد رسول الله (ص)، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك، حيث يصبح من الواضح أنّ الأنبياء السابقين بالرغم من أنّهم جاؤوا بالآيات، ولكنّهم لم يتمكّنوا من خلالها أنْ يكسروا هذا الحاجز النفسيّ والقلبيّ"[٢].

لم يكن هذا التوجّه ببعيدٍ عن قريش التي عزلت المسلمين في شِعْب أبي طالب، وقتلت منهم وشرّدت الآخرين لإمضاء سطوتها عليهم، أو تلك الممارسات الأمويّة التي بسببها قُتل سيد الشهداء، لا سيّما في الأسلوب الطغيانيّ الذي تعامل به يزيد في أخذ البيعة قسرًا من الإمام الحسين(ع) حينما خيّره بين البيعة أو القتل، إذ أرسل إلى عامله الوليد بن عتبة أنْ خُذِ البيعة من الحسين فإنْ أبى فاضربْ عنقه[٣]؛ وفي نصٍّ أكثر طغيانًا قال يزيد للوليد: أنْ خُذْ حسينًا أخذًا شديدًا ليست فيه رخصة حتّى يبايع والسلام[٤]، وفي النّصيْن كان مروان بن الحكم يحرّض الوليد على القتل والبطش بالإمام الحسين(ع)حتى ينفذ أمر الطاغية.

وممّا يذكر من وجوه الطغيان والاستكبار أنّ عبد الملك بن مروان بعد أنْ قتل عبد الله بن الزبير، قال: "لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلّا ضربت عنقه"[٥]. ومن مآثره الطغيانية تنصيبه للحجّاج؛ لأنّه سفّاح، حتى قيل فيه: ما بقيت لله عزّ وجلّ حرمة إلّا انتهكها.

وغيرها من الأحداث الجسام في تأريخ البشريّة التي تبيّن الأساس الذي يحكم سلوكها، وهو الاستكبار والطغيان، وسواء تلك الأحداث معاصرة أم هي ممّا مضت، فالبحث إنّما يشير إلى بعض الحوادث لإيضاح امتداد الظاهرة الفرعونيّة في تواريخ المجتمعات، وليس سبيله وغايته الاستقصاء والتتبّع، وعلى القارئ مطابقة هذا المنطق مع كثيرٍ من الظواهر الأخرى.

(١) الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن: ٣٣٢/١٧.
(٢) الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن: ٤٢٨.
(٣) ظ: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢٤١/٢.
(٤) ظ: الكامل في التأريخ: ٣٧٧/٣ حوادث سنة ٦٠ هـ، وانظر: البداية والنهاية: ١١٨/٨.
(٥) السيوطي، تأريخ الخلفاء: ٢٣٩. وابن الأثير، الكامل في التأريخ: ٣٩٢/٤.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

الخاتمة

إنّ القصص القرآني إنّما هو تجربةٌ اجتماعيةٌ عبر التاريخ، تتآزر مع قصةٍ أخرى لتعطي حصيلةً من الدلالات التي تأخذ نمط السُنّة الاجتماعية الثابتة. وتعكس هذه التجربة الاجتماعية عبر التاريخ ظاهرة التدافع بين محوري الخير والشر في المجتمعات، فتضع الإنسان بوضوح على مفترق الاختيار في قراراته الحياتية.

وقد كرّر القران الكريم عرض قصة موسى وفرعون (ع)، ويهدف بذلك إلى التذكير بالمنهج الاستكباريّ والطاغوتيّ، والاتّعاظ من عواقب تغلغله في النفس، وهيمنته على المجتمع البشريّ بالنحو الذي تكلّمت عنه سنن التأريخ؛ لأنّه يجري مع البشرية ما دامت تسير على سنن من قبلها في هذا الشأن.

ويتغيّا هذا التكرّار في القرآن الكريم لقصة بني إسرائيل ليطّلع المسلمون واليهود في مكة حينها على هذا الواقع في التاريخ؛ إذ إنّ المسلمين يرون اليهود أهل درايةٍ ومعرفةٍ بالأديان وعالم الغيب، وحينما يكشف النص القرآني حقيقة هذا الشعب الإزدواجي فسوف يظهر للمسلمين مواطن الخطأ في الاعتماد عليهم وعلى نظرتهم للأشياء، ويتّضح تفسير موقفهم من الرسالة والنبيّ 9واستهدافهم المتكرّر يعطي نمطًا رمزيًّا لمراحل تمرّدهم على التعاليم الإلهيّة والفطرة الإنسانيّة، وهو تمرّد كان الفراعنة والأقباط يمارسونه مع بني إسرائيل، وتأثّر هؤلاء به.

وقد بيّنت النصّوص القرآنيّة الكريمة أهميّة ضرب المثل في فرعون ليكون نقطة اعتبارٍ للبشريّة، – كما هو حال كلّ سُنّةٍ تأريخية – وهو إذ يستهدف بناء الواقع البشريّ بالتحذير من الفعل الفرعونيّ ومكوّناته التي ولّدته، فهو بمنزلة جعله إنموذجًا للطغيان ليُقاس عليه ما يماثله. وقد استنهض القرآنُ الناسَ ليكونوا أباة الضيم، وليمتنعوا عن الرضوخ للطغاة والمستكبرين، ولينبذوا الظلم والإفساد. وأنبأ كثيرًا عن العواقب الوخيمة للظلم والفساد والعدوان والطغيان.

فلا تقف صفات الظاهرة الفرعونيّة على حدود التلبّس بنوع الصفة، إنّما تتطوّر من فعلٍ إلى منهج يمارس فيه الفرعون طبيعته، وتدفعه روحه الطاغوتيّة إلى إشباع هذه الطبيعة بأيّ وسيلةٍ كانت.

إنّ خط الأنبياء مثّل جدار صدٍّ لتلك الطبيعة الفرعونيّة لتحجيمها، ومنعها من أن تزداد عتوًّا وإصرارًا في إشباع رغباتها، التي تتمظهر في تدمير البنى الأخلاقية، وهدر الكرامة الإنسانيّة، ونسف العدالة الاجتماعيّة.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٩ – حزيران لسنة ٢٠٢٤

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(١) ابن أبي الحديد، المعتزلي، (ت: ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، ط١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.

(٢) ابن الأثير، الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ)، الكامل في التأريخ، بيروت: دار صادر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

(٣) ابن سعد، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري الزهري (ت:٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، ط١. تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م.

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ). لسان العرب. ط٢. بيروت: دار صادر،١٤١٤ هـ.

(٥) الأردبيلي، أحمد (ت:٩٩٣هـ)، زبدة البيان في أحكام القرآن، تحقيق وتعليق: محمد الباقر البهبودي، طهران: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

(٦) البحراني، ابن ميثم (ت: ٦٧٩هـ)، شرح نهج البلاغة، ط١، إيران/قم: مركز الإعلام الإسلامي.

(٧) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت: ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: الدكتور محمد حميد الله، مصر: دار المعارف، ١٩٥٩م.

(٨) الحرّ العامليّ، محمّد، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، قم، ١٤١٤هـ.

(٩) الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ط٥. إيران/قم: مؤسسة الفكر الإسلامي.

(١٠) الخمينيّ، روح الله، الأربعون حديثًا، ترجمة محمد الغروي، بيروت، دار التعارف، ١٩٩١م.

(١١) الزَّبيدي، محمّد بن محمّد الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.

(١٢) السيوطي، جلال الدين (ت:٩١١هـ)، تأريخ الخلفاء، تحقيق: لجنة من الأدباء، بيروت: مطابع معتوق إخوان.

(١٣) الشريف الرضي محمد بن الحسين، نهج البلاغة، ط١، تحقيق: صبحي الصالح، بيروت: ١٣٨٧ هـ- ١٩٦٧ م.

(١٤) الشريف المرتضى علم الهدى (ت: ٤٣٦هـ)، الرسائل، تحقيق: تقديم: السيد أحمد الحسيني/ إعداد: السيد مهدي الرجائي. إيران/قم: مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٥ هـ.

(١٥) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، إيران: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب. **إيران/** قم، ١٤٣١ هـ.

(١٦) الطباطبائي، محمد حسن، الميزان في تفسير القران، إيران/قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

(١٧) الفيوميّ، أحمد بن محمد بن علي المقريّ، (ت:٧٧٠ هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيّ، المكتبة العلميّة، بيروت.

(١٨) القرشي، باقر شريف، أضواء على السياسة العادلة والظالمة، ط١، تحقيق: مهدي باقر القرشي، العراق /النجف الأشرف: مؤسسة الإمام الحسن،٢٠١١م.

(١٩) القنوجي، محمد صديق خان، (١٢٤٨ – ١٣٠٧ هـ)، أبجد العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م.

(٢٠) الكليني محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩ هـ). الكافي، ط ٥، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣هـ.

(٢١) المجلسي، محمد باقر (ت:١١١١هـ)، بحار الأنوار، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٢٢) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ط ١، طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٧هـ.

(٢٣) اليعقوبي، أحمد (ت: ٢٨٤هـ)، تأريخ اليعقوبي، بيروت: دار صادر، الناشر: مؤسسة نشر فرهنگ أهل بيت (ع) إيران/قم.